

قراءة انتباعية حول "بساتين عربستان" للكاتب السعودي الأحسائي أسامة المسلم

تدور الحكاية حول انتقام الساحرة "أفسار" من الساحر الذي قتل أبيها ومن ابنته الساحرة "دعجاء" تنشئ "أفسار" عصبة من الساحرات لأجل تلك المهمة لكن "دعجاء" لم تكن تصفع الوقت بشرب الشاي كرك بل كانت من طرفها قد أنشأت عصبتها "السحرية" الخامسة.

في بداية قرائتي للكتاب وفي الصفحات الأولى أحسست أنني إزاء عمل اسطوري فلقد تلمست متعة عظيمة منذ الصفحات الأولى لا أتذكر متى آخر مرة تلمست تلك المتعة في كتاب، بيد أن المشكلات بدأت تظهر تباعاً، فإن كنت تفضل الاستمتاع بالكتاب فيجب ألا تلاحظ وأن تعطي عقلك ومنظفك إجازة قصيرة حتى تنهي الكتاب، وأنا لا أسميه رواية لأن الكاتب لم يطلق ذلك المسمى على مؤلفه رغم أنه تجد أهم عناصر الرواية متوافرة، وتلك شجاعة من المؤلف يجب رفع القبعة لها.

ملاحظات بسيطة

أخطاء لغوية قليلة درجة الندرة متوزعة هنا وهناك وهذا ما دعاني للتفاؤل. وقع الكاتب في مشكلة عبئية الشر خصوصاً في بعض الشخصيات الجانبية وعلى سبيل المثال أذكر اعتداء الساحر عند الجبل على "أفسار" كان غير مبرر وغير واضح الأسباب "الشر لأجل الشر" ومن الجيد أن هذا لم يحدث مع الشخصيات الرئيسية.

"أفسار" كانت تتنقل كثيراً على قدميها وما زالت تمشي حتى بعدما تدربت على يدي الساحر وأصبحت تمتلك طلاسم شتى أحدها طلسمها ينقلها من مكان لأخر في لمح البصر فهل كانت من مناصري رياضة المشي؟ غريبة تلك الـ "أفسار" فهي تنتقم بقتل ثلاثة سحرة بأبشع طريقة فقط لأن واحداً منهم آذاها جسدياً بشدة، وتمر على الشخص الذي تسبب في مقتل زوجها ولا تلتفت له وتتابع سيرها حتى يغضبها من جديد حينها تبطش به!

وتستمر بعض الأحداث غير المنطقية مع الساحرة "دعجاء" فأنا أتفهم أن تستدرج فرسان القافلة لمكان ناء وتقتلهم بهدوء، ولكن ما المبرر الذي يدعوها لجعل بناتها الساحرات يختبئن في البئر وهي وبناتها يمتلكن تلك القوة السحرية؟!

تقوم أفسار بإلقاء تعويذة على العجوز وحفيدتها واللتين عاشتا معها فترة طويلة وتجعلهما تنسيان جميع ذكرياتهما بطلسم وب مجرد استيقاظهما من النوم تسألان عن هويتهما وهوية الطرفين المقابلين فتعرفهما أفسار على بعضهما البعض أنت "نازانيين" وتلك جدتك وفي التو اللحظة يكملان الحياة وكأنهما لم يفقدا ذاكرتهما فأين الانبهار والصدمة ورفض الواقع؟! لا تقلق فذلك "سحرًا" ولكن حتى السحر له منطق.

اللامنطقية مستمرة حينما عادت الساحراتان برفقة "أرتميس" إلى منزل "أفسار" ليكتشف القارئ أن حكاية الساحرات مع "أرتميس" كلها من مخططات "أفسار" فيما ترى هل أفسار ساحرة أم عالمة غيب بحيث تخطط للمستقبل و"ضبط" الأمور معها بالحذا فير؟ حتى الساحر محدود.

الساحرة تأمر أتباعها بالحفر بينما صعدن الجبل ويلبين ذلك دون أن يراعي الكاتب من أين جلب أدوات الحفر؟ قد يكن حفرن الجبل بأطفالهن فهن ساحرات!

تخيل أن الساحرة تغدر بإحدى الساحرات التابعات لها وتقدمها لساحر كي يقضي بها ليلة ممتعة ويعرضها للدفن حية حتى تكاد تموت ولما يتم إنقاذه تكون ردة فعلها... لا أستطيع وصفها لأنه من الأساس لم تكن هناك ردة فعل حيث واصلت حياتها مع الساحرة الكبيرة واستجابت لمخططها! ومع نهاية ٤١٦ لم أكن أعلم هل أفسار هذه ساحرة أم قوادة؟!

هناك هنات في التأسيس لهذا العالم الذي خلقه الكاتب من قبيل اتباع الطرق السهلة كما نجد مثلاً لذلك في ٣٦٥ حيث جاء "قرأت نازانين طلسم الانتقال الذي أتقنته مؤخراً وتوجهت لديلم..." فمتى أتقنت هذا الطلسم المهم؟ لماذا لم تُرنا كيف أتقنته قبل هذا الحدث؟ فأنت قد كتبت ٥٣٥ صفحة فزدها عدة صفحات من أجل الفرش لتلك المسألة. الأمر هو أن الكاتب احتاج لأن تنتقل الساحرة بطلسم الانتقال في تلك اللحظة فحل المعضلة بأسهل الطرق وهي عبارة تنويهية بأنها تعلمتها مسبقاً! كذلك الحال عندما احتجت أفسار إلى أثر يخص أنمار كي تتمكن من البحث عن مكانها فقدت مهرناز خاتماً يخصها وقالت: خاتم كانت تلبسه وتركته معها ليلة رحيلها... لماذا لم ترنا المشهد الذي قدمت فيه الخاتم؟! وكمثال ثالث أقرأ هذا الحوار ٤٧٢ "دعجاء: لماذا يا ضنة؟ ضنة: قد تأيني أخبار عن أخي... دعجاء: لم تخبرينا من قبل أن لك أخا".

أعتقد أن هذه النماذج تكفي لتلك المسألة.

حاول الكاتب وضع مبررات لاتباع الساحرات لأفسار والتضحية من أجل تحقيق انتقامتها من قبيل اليم والتشرد لكنها في المجمل لم تكن منطقية فالثمن المقدم ربما يكون حياً تهن. شخصية الساحرة التي تعرف كل شيء ولا تخطئ في شيء المتمثلة في أفسار ودعجاء لم تكن مقنعة بل كانت تدعو للغضب في كثير من الأحيان بسبب خروجها اللامنطقية عن حدود الواقعية وكما ذكرت كونها ساحـ...